

# معركة رفح وموازين القوى



غزة/د. صلاح البردويل

أثارت معركة رفح الأخيرة التي بدأت بغزو إسرائيلي واسع على حي تل السلطان الواقع على الطرف الغربي لمدينة رفح، اهتمام المراقبين للساحة الفلسطينية، ولا سيما أنها حدثت بين يدي القمة العربية المفترضة في تونس، وقد تباينت آراء المحللين السياسيين تجاه هذا الهجوم غير المسبوق، فمنهم من رأى فيها تأكيداً على كذب الادعاء الصهيوني فيما يتعلق بالانسحاب من غزة، ومنهم من رأى الأمر عكس ذلك، حيث إن هذا الهجوم ما هو إلا غطاء نفسي ومعنوي لعملية الانسحاب التي ستتم قريباً بناءً على خطة شارون المدعومة أمريكياً. وبين هؤلاء وهؤلاء ثمة من شغلته الأحداث وغرق في فظاعة الجريمة وبشاعتها، وثمة من أصابه الرعب من كون هذا الفعل هو مقدمة لمزيد من المناجح والتشريد لأبناء الشعب الفلسطيني، لا سيما في ظل هذا الواقع العربي والدولي المخزي. ولعل الطريقة الأجدى في التعاطي مع هذه المعركة هي القراءة الواعية لكافة المعطيات التي تحيط بها للخروج بتصور واضح عن الأهداف والنتائج، وحتى يبدو الموقف أكثر جلاءً لا بد من الفصل بين الموقفين: الإسرائيلي، والفلسطيني، وموازين القوى لدى الطرفين، والمؤشرات التي ترجح نصر هذا الطرف أو ذاك..



الغليان والرعب التي أصابت الصهاينة: جماهير، وعساكر، الأمر الذي أثر على جدول أولويات القيادة الصهيونية سياسية وعسكرية، فغيرت خطتها لتحقيق أهدافها بأقل الخسائر فكان الهجوم على منطقة تل السلطان برفح، وهي منطقة لا علاقة لها بالحدود الجنوبية، كما أنها منطقة محاطة بأربع مستوطنات من الجنوب والغرب والشمال، وتختلف عن مخيمات جنوب رفح باتساع شوارعها وصعوبة المقاومة فيها لسهولة اختراق الدبابات لها وقدرة السيطرة على بناياتها العالية التي تستخدم للقنص، بالإضافة لسهولة عمل طائرات الأباتشي في هذه الأحوال.

## تل السلطان

إن السيطرة على منطقة تل السلطان ليست أمراً جديداً ولا يعبر عن عبقرية عسكرية صهيونية، فهي عملياً ساقطة عسكرياً باعتبارها محاصرة بأبراج المواقع العسكرية الصهيونية المطلّة عليها من كل اتجاه والجديد في الأمر إعادة الثقة للجندي الإسرائيلي الذي أصبح مرعوباً من غزة وشوارعها، وذلك من خلال إعطائه شحنة معنوية وهو يرى نفسه يقف في شوارع رفح التي طالما شكلت له كابوساً وينتقم لزملائه الذين ضاعت أشلأؤهم في مقبرة الزيتون ورفح. ولقد كان ذلك هدفاً عسكرياً وسياسياً صهيونياً، كما كان ذلك رغبة من شارون أن تكون آخر أيامه في قطاع غزة قتلاً

## الموقف الإسرائيلي

جاء الهجوم الإسرائيلي على منطقة «تل السلطان» برفح مفاجئاً للمراقبين، وخصوصاً بعد أن كان الهدف الإسرائيلي المعلن والذي تردد على لسان رئيس الوزراء الصهيوني شارون ووزير حربه موفاز هو تدمير مئات المنازل الفلسطينية المحاذية للشريط الحدودي مع مصر جنوب مدينة رفح لتوسيع ما يعرف بخط «فيلادلفيا» الحدودي إلى مسافة ٣٠٠ متر، وذلك لجعل عملية حفر الأنفاق من رفح إلى مصر من أجل تهريب السلاح إلى قطاع غزة مستحيلة، ولا سيما أن قناة مائية سيتم حفرها في المكان على طول الحدود بعمق ٢٠ متراً، وسعة ٨٠ متراً، وقد دلت الحشود الإسرائيلية الهائلة على جدية العدو في تنفيذ هذا الموضوع الذي يبدو أنها أخذت ضوءاً أخضر بشأنه من الولايات المتحدة على الأقل، إن لم يكن من السلطات المصرية وبعض الأطراف الفلسطينية المتنفذة، وربما كان الهدف المعلن من وراء هذه العملية الواسعة تأمين الحدود المصرية قبل الانسحاب الكامل من قطاع غزة، حتى لا يكون الانسحاب عشوائياً، أو يبدو وكأنه اندحار وهزيمة على غرار ما حدث في جنوب لبنان.

لكن قيادة الجيش الإسرائيلي التي لم تجمع أشلاء جنودها بعد من شوارع حي الزيتون بغزة، ومخيم رفح، لم تشأ أن تغامر مثل هذه المغامرة بعدما خبرت من المفاجآت التي خبأتها لها المقاومة الإسلامية في مثل هذه الحالات، ولا سيما بعد حالة